النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي «الآداب»

لبنان

ازمة الكتاب في لبنان

اقام النادي الثقافي العربي اسبوع الكتاب اواخر شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ ، وقدم امسيات شعرية شارك فيها عدد من الشعراء اللبنانيين والعرب .

وفي حفلة الافتتاح التي اقيمت مساء ٢٧ تشرين الثاني في قصر الاونسكو عالج كل من الدكتور سهيل ادريس الامين العام لاتحادالكتاب اللبنانيين والاستاذ بهيج عثمان رئيس اتحاد الناشرين في لبنان ازمة الكتاب العربي في لبنان والعالم العربي . وتنشر فيما يلي كلمتيهما:

كلمة الدكتور سهيل ادريس

مبادرة اخرى مشكورة للنادي الثقافي العربي في بيروت في اقامة هذا العرض للكتاب العربي . وهي احدى مبادرات كثيرة تحل فيها المؤسسات والنوادي الخاصة محل المؤسسات الرسمية ، اي محل الدولة في لبنان !

ولا عجب في ذلك ، بل هذا هو الامر الطبيعي في هذا البلد : اليس معرض الكتاب هذا شانا من الشؤون الثقافية عندنا ؟ اذن ، فلا بد ان يتولى امره الافراد والهيئات الخاصة ، باعتبار ان الثقافة في لبنان لا علاقة للدولة بها ، وهي لا تعني عندها شيئا ، بل ان سياسة الدولة في هذا المجال هي سياسة الغياب التام بشكل عام... عفوا ايها السادة ، ان هناك بعض التجني في هذا الكلام ، فكيف اتحدث عن الغياب التام والحكومة كلها حاضرة اليوم بشخص معالي نائب الرئيس ووزير التربية ؟

ولكن عفوا ، مرة اخرى ايها السادة ، اليس من الممكن انيكون هذا الحضور ، بالاحرى ، شانا من شؤون الاعلام ؟

والا فما هو مفهوم الدولة لرعاية الكتاب حين يقام له معرض في ناد قطعت عنه الحكومة مساعدة كان يستعين بها لاقامة هذا المعرض تكريما للكتاب ؟

وكيف يمكن للدولة ان تكرم الكتاب في لبنان ، وهذا الكتاب لا وجود له في المكتبات العامة ، في العاصمة والقرى والمجالس البلدية

وكيف يمكن للدولة ان ترعى الكتاب ، وهذا الكتاب غائب عن مكتبات السفارات والقنصليات اللبنانية بحيث تغيب عنها افضل وثيقة واصدقها عن المجتمع اللبناني ؟

وكيف يمكن للدولة ان تكرم الكتاب في لبنان ، وقد دعيت منذ مطلع هذا العام ، الى المشاركة في العام الدولي للكتاب الذي تقيمه منظمة الاونسكو ، فشكلت لجنة وطنية لذلك ، واجتمعت هذه اللجنة وبذلت جهودا كثيرة لوضع برنامج للعمل ، بل رصد مبلغ يمكنها من القيام ببعض اعبائها ، ثم نام البرنامج في الادراج والغي المبلغ، وماتت لجنة الكتاب في عام الكتاب الذي يحتفل العالم كله به ،ويغيب لبنان وحده عنه ؟

ايكون هناك دليل اتصع من هذا على اهمال الدولة اللبنانية بل تنكرها للكتاب الذي هو عنوان الاشعاع اللبناني الحقيقي ؟

وكيف يمكن للدولة ان تكرم الكتاب في لبنان ومؤلف الكتاب اللبناني يعاني الامرين ، وقد يعاني شظف العيش ، ثم يدفعه هم اللقمة الى الانصراف عن التاليف ، فيغيب الكتاب اللبناني عن السوق تدريجيا كما تغيب الدولة عن الثقافة دائما ؟

انها ليست غائبة عن الكتاب وحده ، بل عن مختلف مظاهر الثقافة: عن المسرح (واقصد المسرح الفني ، لا مسرح الدعاية !)وعن التلفزيون (ما عدا التصريحات والمؤتمرات الصحفية لاركان الحكومة !) وعن الفنون التشكيلية . (ومنها النحت الذي نحمد الله ان فنانيه اللبنانيين لا يتعاطون كثيرا نحت التماثيل !) ومن الاذاعة التي انقطع عنها صوت معظم المبدعين الحقيقيين في لبنان لعدم تقديرهم التقدير الذي يحفظ عليهم كرامتهم وماء وجوههم .. صحيح ان بعض دوائر وزارة التربية قد قدمت في السابق بعض المنح ، ولكن منح هذه المساعدات لم يكن قائما على اي اساس مجرد او دراسة موضوعية تضعها لجنة من الاختصاصيين الذين لا يرقى الشك الى كفاءتهم، بل كانت تمنح بنزوة وزير او اجتهاد مدير ، وهي على اي حال لا تدل ابدا على وجود سياسة ثقافية للدولة .. لا سيما وانها قد الغيت في السنتين الماضيتين ، فشلت اعمال كثير من الهيئات الثقافية ، ما كان منها مؤمنا برسالة حقيقية في خدمة الثقافة في لبنان ، او ما كان فحسب صورة يستغلها بعض المنتفعين والازلام !

ان سياسة الغيبة هذه ، او سياسة الغيبوبة ، احد المظاهر التي لا بد ان تسترعي الراصد الادبي او المؤرخ الادبي . وسيخرج من دراستها بانها احد اسباب الازمة الثقافية التي نعانيها . وقد كان ذلك هو ما دفع اتحاد الكتاب اللبنانيين ، الذي دعاني هذا النادي الكريم الى التحدث باسمه اليوم ، الى طلب الاجتماع بالمسؤولين لمحاولة درس هذه الازمة ومعالجة اسبابها . وقد طلبت مرتين موعدا من رئيس الدولة ، فلم يصلنا منه جواب ، وقد مضى على ذلك الان اكثر من عام ، ثم طلبت باسم الاتحاد موعدا من رئيس الحكومة ، وراجعت سكرتيرة اكثر من عشر مرات ، فلم يحدد لنا اي موعد علما بانني لست مجهولا عند دولته ...

ولم يكن اتحاد الكتاب يريد ان يستجدي دولته شيئا .. ان اتحادنا قائم قياما شرعيا ورسميا ، وهو يقدم الى المراجع المسؤولة كل البينات التي تطلب منه ، ومن حقه كاية هيئة ان يقابل المسؤولين ويناقشهم، لانه مثلهم مسؤول مع سائر الهيئات المختصة عن مصير الثقافة في هذا البلد . ومن واجب من بيدهم السلطان ان يستمعوا اليه ، على الاقل ، كما يستمعون الى اي مواطن ذي قضية .

ولكنه ايضا مظهر من مظاهر غياب الدولة عندنا عن قضية الثقافة . ومن دلائل هذا الغياب كذلك بالمناسبة ان وزير التربية الاسبق معالي الدكتور ابو حيدر سالنا حين تفضل علينا بمقابلة قصيرة ، وكنا تسعة من الادباء ، من انتم وماذا تفعلون ؟ فتذرعنا بالصبر والاناة ، والتمسنا للوزير عذرا في انه غير مطلع على الحياة الثقافية في لبنان !

ان اتحاد الكتاب اللبنانيين لا يطلب شهادة حسن سلوك من وزير التربية السابق او الحالي ،ولاشهادة حسن سلوك من رئيس الحكومة ولا من سواه . انه قائم في لبنان يؤدي واجبه بما لديه من امكانيات مادية وهي ضئيلة ومتواضعة ، وما لديه من امكانات معنوية ، وهي عظيمة وكبيره تشرف هذا البلد في الداخل والخارج على السواء. انه يضم نخبة من كبار المثقفين اللبنانيين المشهود لهم ، وبينهم جميع رؤساء تحرير المجلات الادبية اللبنانية التي تنشر صفحاتها اجود ما

تقدمه الاقلام اللبنانية والعربية ، ويضم كذلك مندوبي الادباءاللبنانيين في المؤتمرات الادبية العربية والدولية ، ومن اعضائه ايضا مرشحان كبيران لجائزة نوبل للاداب هما ميخائيل نعيمة وجورج شحادة .

وان نشاط هذا الاتحاد الذي يسره آنيكون رئيس هذا النادي احد اعضائه المؤسسين ـ ان نشاط هذا الاتحاد في السنوات الاربع الماضية وما وضعه من برامج لهذا العام ، ومنها عقد مؤتمر ازمة الثقافة في لبنان ، يحاول مع الهيئات الثقافية الجادة الاخرى ، ان يحفظ المميز للبنان وجهه الثقافي المشع ،ويقوم مقام الدولة في ابقاءالطابع المميز للبنان في نظر الاقارب والاجانب ، وهو انه كان في اصل النهضة الثقافية العربية ، وان تاريخ اليقظة الفكريةوالادبية والفنية مرتبط ارتباطا وثيقا بجيل من الرواد اللبنانيين .

لتغب الدولة اللبنانية ، فالقلم اللبناني الحر المدع حاضر ابدا !

كلمة الاستاذ بهيج عثمان

نمر بعد قليل امام اجنحة الكتب في المعرض ، وكلها انيق مشرق جذاب . ولكن وراء هذا الوجه الزاهي قصة نضال صامت يخوضه الناشرون والمؤلفون على انسواء ، كما ان وراء هذا الوجه الزاهي فوضى في توزيع هذه الكتب على انواع المعرفة .

ان اول ما نلاحظه في موضوع الكتب التي تظهر كل عام ، انها بالرغم من تزايدها المطرد انواعا ونسخا ، ما زال جناح العلم فيها مصابا بالضآلة والضحالة ، ذلك ان نسبة الكتب العلمية ، البحتة والتطبيقية ، لا تتجاوز ١٥٪ من مجموع الانتاج الفكري ، بينماتبلغ في البلاد المتقدمة ٥٠٪ من مجموع انتاجها . ونحن اكثر الناس حاجة الى العلم في عصر العلم .

ونلاحظ ايضا عجزا كبيرا في الكتب التي تعالج مشكلات الحياة المعاصرة في المجتمع العربي ، وما اكثرها ، وما اقل التاليف فيها. ان قضية كقضية الصراع بين الاجيال المحتدم في مجتمعاتنا ، لا تحظى من المفكرين بما تستحق من معالجة ومناقشة . فهذا الصراع يعاش ويمارس اكثر مما يدرس ويقرا .

وازاء هذا الفقر في التاليف العلمي والاجتماعي ، ينال التاليف السياسي حظا وافرا في انتاجنا ، كما ان الكتب الدينية ، كما لاحظ خبراء الاونسكو ، تسجل اكبر نسبة عرفتها لغة من اللغات، فقد بلغت نسبة الكتب التي تتناول القضايا الدينية ٢٠٪ منمجموع الانتاج الفكري ، في حين ان النسبة العالمية في التاليف الديني لا تتجاوز ٦٪ .

وكاني بكم تتساءلون : لماذا لا يقوم الناشر بتغذية المكتبة العربية بما تفتقر اليه ؟ واجيب ان الناشر الذي يفهم صناعة الكتاب مهنة ورسالة معا ، لا يستطيع ان ينهض بهذه الرسالة ، اذا لم يلق من القارىء التجاوب والتعاون .

وللقارىء العربي شخصية غريبة تتلمس معالمها من مراجعة الكتب التي تنال اكبر حظ من الرواج .

ان القارىء العربي : نادر ، قليل القراءة ، شاب عاطفي،متطرف معارض ، اما انه نادر ، فلان الذين يحسنون القراءة لا يتجاوزون ١٧٪ من مجموع الناطقين بالعربية . وهؤلاء القارئون لا يمارس القراءة منهم الا قليل . وهذا القليل لا تشغل القراءة من حياته الا حيزا ضيقا.

وقارئنا شاب غالبا ، لا يتجاوز العقد الثالث من العمر ، نعرف ذلك من زبائن المكتبات التجارية ، ورواد المكتبات العامة ، ومن الموضوعات التي تسجل اعلى الارقام في الطلب .

وان الكتب القليلة القليلة التي تناولت موضوعات علمية ، وكان حظها الموت في المستودعات ، لتدمغ قارئنا بالطابع الادبي ، كما ان اقباله على الكتب المثيرة تدفعه بانه عاطفي متحمس .

وسواء اكان من اصحاب اليسار ام اصحاب اليمين ، فهو يريد كتابه صارخا عنيفا ، ولا يلتفت الى الكتاب المعتدل المتوسط .وعندما يزول عنصر التطرف من هذه الكتب ، بفعل الزمن او التطور او العادة، ينتقل الاقبال الى كتب اخرى تحتل الاطراف القصوى .

وللقارىء العربي صفة اخرى ، ليس هو مسؤولا عنها ، او راضيا بها ، هي انه محروم ! محروم من قراءة ما يريد . والذي حرمه هو « الرقيب » في بلده ، هذا الرقيب الجاهل او الغبي او المنافق، الذي يفرض على القارىء غذاؤه الفكري .

واذا فهمنا لماذا تمنع بعض الكتب الجنسية والسياسية منالتداول في بعض البلاد العربية ، فاننا لا نستطيع ان نفهم لماذا منعت فيها عام ١٩٧٢ كتب في علم النفس ، والتربية ، وتفسير القرآن ،وتطوير العقل ، والقانون ، ولا ريب انكم ستعجبون اذا علمتم ان رقيبا منع كتابا الفه شكسبير ، وكتابا يدرس حياة الاسكندر المقدوني .

وقد زعم احد هؤلاء الرقباء في حلقة من حلقات الاونسكو ، التي عقدت هذا العام عن مشكلات الكتاب العربي ، وكان يمثل بلده في هذه الحلقة ، انه يراقب لكي يحمي القارىء من الكتب الفاسدة.. ونسي ان عهود الحماية ، وخاصة للراشدين ، قد ولت منذ زمن بعيد !

ولعلني قد شرحت ، من غير ان اشرح ، معنى النضال الذي يخوضه الناشر العربي .

★ ★ ★

ان معدل نصيب الانسان العربي يبلغ نصف نسخة في السنة، مقابل ٢/٣٠ نسخة لكل شخص في العالم . اما الشخص الاوروبيفيقرا ما معدله سبع نسخ في السنة .

وبالرغم من ازدياد عدد الكتب والنسخ عاما بعد عام ، فاننا ما زلنا دون المستوى العالمي في حجم الانتاج ، ذلك ان نسبة الانتاج العربي تبلغ ٤٠ كتابا لكل مليون شخص سنويا ، في حين ان نسبة الانتاج العالمي هي ١٤٠ كتابا لكل مليون شخص .

اما اذا قابلنا بين لبنان والدول المتقدمة فنلاحظ ان لبنانوحده ينتج سنويا ٤٤٠ كتابا لكل مليون شخص ، وهذه نسبة لا تقل كثيرا عن افضل نسبة في العالم ، اذ تبلغ ٤٩٠ كتابا لكل مليون شخص في العام .

وبقدر ماكانت المقارنة في انتاج الكتب مشرفة للبنان ، فانالمقارنة في نسبة القراءة بينه وبين غيره تهبط به الىامية غريبة بين المثقفين.

ولن يتغير شيء من هذا المسح الاحصائي ، ولن يعتدل الخلل في التوزيع الثقافي ، مالم تعدل مناهج التدريس ، ويغلب الجانب العملي فيها على سائر المواد ، وتغرس عادة القراءة في النفوس ،لتصبح منهلا من مناهل التثقف والتطور .

ويلطخ صناعة الكتاب في لبنان آفة خطف الكتب الرائجة،ونشرها دون علم اصحابها . وهي قرصنة جديدة استفحلت منذ ثماني سنوات، ومارسها دخلاء على النشر فشوهوا سمعة لبنان حتى ضج المؤلفون والناشرون في جميع انحاء العالم .

ومنذ ثماني سنوات : تسرق الكتب ، فتوضع اليد عليها ، ويعرف السارقون ، وتقام الدعاوى ..والى هذه الساعة لم يعاقب سارقواحد من سارقي عقول المفكرين وعناء تجاربهم ، وسهر عيونهم .

وكانت سرقة بيت من الشعر تؤلب النقاد العرب على السارق وتضعه في موضعه الذي يستحق ! ولما حاول اتحاد الناشرين ان يشارك

قضائيا في ملاحقة هذه الآفة ، اصطدم بان نظامه كجميعة لا يسمح له بان يكون شخصا معنويا ، فطلب تحويله من اتحاد نقابة .. وما زال ملف المعاملة ، منذ ثلاثة عشر شهرا ينتظر توقيع وزيرالعمل.. ونرجو ان يتم التوقيع قبل ان يصبح اكثر الانتاج الفكري في لبنان مزورا مسروقا !

وهذا يذكرني بما حدث لسنة الكتاب الدولية ، واني لاتخيل وضع رئيس مجلس الاونسكو الجديد وهو الدكتور فؤاد صروف ،الذي انتخب هذا الاسبوع ، حين يواجه بان بلده لبنان كان البلد العربي الوحيد الذي لم تحتفل حكومته بسنة الكتاب الدولية .. وهو مشروع عزيز على الاونسكو ، كما انه مشروع يفيد منه لبنان اكثر مما يفيد منه اي بلد اخر احتفل بهذه السنة .

وان كانت البادرتان اللتان قام بهما كل من دار الكتاب اللبناني والنادي الثقافي العربي في معرضيهما ،وقد خففتا من فداحة هذه الوصمة ، الا انهما لم تستطيعا محوها !

* * *

سيداتي سادتي ،

عندما تمرون في المعرض ، امام رفوف الكتب الحافلة بكل جديد، المبذولة لكل راغب ، اذكروا ان عددا كبيرا من هذه الكتب ، ما تزال قراءته من المحرمات على جماهير غفيرة من الشعوب العربية !

بهيج عثمان

العراق

شعوب العالم مع العراق ..

رسالة من ماجد السامرائي

كان ابرز حدث عاشته بغداد خلال الشهر الماضي هو « ندوة النفط العالمية » التي نظمها مجلس السلم والتضامن في العراق ، ومنظمة الشعوب الافريقية ـ الاسيوية ، ومجلس السلم العالمي .. وعقدت تحت شعار : « النفط كسلاح في المعركة ضد الامبريالية والعدوان الاسرائيلي ووسيلة لتطوير اقتصاد وطني مستقل » .. واستمرت الفترة من ١١ ، ولغاية ١٤ تشرين الثاني .. وحضرتها شخصيات سياسية وفكرية كثيرة ، ومهمة من مختلف اقطار الوطن العربي والعالم ، فاسهمت بوجهات نظرها في تاكيد شعار الندوة باستخدام هذا السلاح الفعال في معركة اليوم التي تخوضها شعوب العالم ضد الاستعمار والقوى الامبريالية العالمية ..

وقد اكتسبت هذه الندوة اهميتها من كونها انعقدت في مرحلة تشهد هذا الصراع العنيف في المنطقة العربية ، وفي العراق بشكل خاص ، اذ هو يشهد اليوم نوعا من التآمر الخفي تسهم فيه قوى خارجية متعددة ، وتتخذ له مختلف الاساليب .. كل ذلك لاحساسها بالخطر الذي يتهدد مصالحها في المنطقة العربية ، والذي يهدد وجود اسيادها ممن ربطوا انفسهم بعجلة الاحتكارات الاجنبية .

واكتسبت هذه الندوة اهميتها ، ثانيا ، من كون النفط ،وتاميم النفط قضية تتخذ ابعادا كثيرة ، وان كانت تلتقي عند هدف واحد هو الاستقلال الاقتصادي ، والسير في طريق بناء الاشتراكية ..

فالتاميم يتخذ ابعاده على صعيد ضرب المصالح والاحتكارات الاجنبية في المنطقة العربية ، وفي دول ما يسمى ب « العالم الثالث » عموما .. ويتخذ ابعاده على صعيد التنمية الاقتصادية في هذه الدول التي تتحرر ، بواسطته ، من ظل الاحتكار الثقيل .. ليشكل النفط الرافد الاساسي في تقوية هذه التنمية ، ومن هنا يمكن ان يكون التاميم منطلقا نحو تحويل هذه الثروة الضخمة الى يد الشعب الذي لم يكن يتمتع بها الا بقدر ضئيل. واذا ما وضعت خطط علمية للتنمية ، فسيكون ذلك عامل تحويل اقتصادي واجتماعي كبير ..

واذا ما عرفنا ان الامبريالية العالمية تجني ارباحا طائلة من النفط تقدر ب (٢٨) مليون دولار ، في حين ان جميع البلاد المنتجة للنفط لا تحصل الا على (١٧) مليون دولار .. اذا ما عرفنا هذا ادركنا مدى الاستغلال الواقع على الشعوب .. وادركنا ،في الوقت نفسه، اهمية تحويل هذه العائدات الى مجالات التنمية القومية ..

.. كما يتخذ التاميم ابعاده على صعيد التغيير السياسي والاجتماعي ، باعتبار هذا التغيير مرتبطا ارتباطا جذريا بالتغيير الاقتصادي ، وبتغيير العلاقات الانتاجية ..

« ان نزع هذا السلاح من يد الكارتل الدولي للنفط هو خطوة مهمة ، وهجمة مضادة على طريق التحرر من النفوذ الاستعماري » (ابو سيف يوسف) .. و« ان تحطيم هذا الاحتكار على نطاق النضال العام المناهض للامبريالية والاستعمار هو خطوة ثورية بكل المعاني» (ادوار الخراط) ..

من هنا كان هذا القرار ـ قرار التاميم ـ قد جاء ممثلا لابرز « اشكال النضال الوطني الاساسية .. وعلى حركة التحرر العربي ان تحتذي هذا النموذج » (مصطفى طيبه) ...

بادراك كل هذه الاهمية التي يكتسبها التاميم اليوم لا نحمل كلام المرء محمل التطرف حين يقول بان « حديث الثورة » يطغى اليوم على كل حديث سواه ، سواء في اوساط المثقفين ، اوفي الاوساط الشعبية عامة .. ذلك ان الضربات المفاجئة ، والقوية بذات الوقت، التي تلقتها الامبريالية من العراق كانت ضربات مدهشة ، يتحقق بفعلها اليوم حلم كبير من احلام الجماهير الكادحة في هذا القطر ...

ولعل هذه النقلة المذهلة ـ نقلة التاميم ـ والتي كانت بحق فوق جميع التصورات ، هي التي جعلت الاحداث تنتظم ضمن هذا المسار الثوري الحقيقي الذي جعل « التآلف الوطني » شيئا ملموسا وواضحا في حياة القطر .. وقائما على اسس اكثر رسوخا ..

ومن سير الاحداث ، وتطوراتها ، وما يرافقها اليوم من عمل جاد ومستمر ، يبدو ان تاميم النفط العراقي في الاول من حزيران هذا العام جاء ليكون مصدرا لتحرك كبير ، وعلى كل المستويات ، لا على نطاق القطر العراقي وحده ، وانما على نطاق اكبر بكثير من ذلك . كما جاء ليكون عامل تحريك للجو العام ، لا على الصعيد الاقتصادي والسياسي ، وانما ، ايضا ، على كل اصعدة الحياة .. وهو ، من هذه الناحية ، قد فتح ميادين كثيرة للنضال الثوري الحقيقي، باعتبار التاميم جاء ليشكل ثورة ضمن الثورة .. ولان كل القوى المناضلة في الساحة العراقية ، وبالتالي في الساحة العربية ، بجماهيرها الكادحة وبتطلعات هذه الجماهير ، انما تسير باتجاه التجسيد الفعلي لهذا الامل الذي ارتبط ارتباطا مباشرا وصحيحا بنضالها .. فهو يمثل حتمية من حتميات هذا النضال .. ويرتبط ، من جانبه المبدئي ، بايديولوجية هذه القوى الثورية .

وجاء البيان الختامي للندوة وقد نشرته جميع الصحف العراقية والعربية ليكون التلخيص الدقيق لما استهدفته ، ولما انعقدت من اجله..

التحرك العالمي الذي بدا منذ حزيران ورافق هذه الندوة يعطي للشعب العراقي كبير الثقة بما اقدم عليه ، معززا موقعه في ساحة النضال القومي ، مؤكدا له بانه لا يقف وحده في ساحة النضال ضد الامبريالية ، والاحتكارات النفطية والاقتصادية في ارضه .. وانما تقف معه ، وفي ذات الساحة ، شعوب اخرى تناضل من اجل تحقيق مكاسب مماثلة .

وقد عقدت على هامش الندوة بعض الندوات واللقاءات ، كان ابرزها ندوة جمعية الاقتصاديين العراقيين .. وقد ساهمت هذه الندوات ، من جانبها ، في ايضاح الكثير من القضايا المتعلقة بالنفط ، وبالتاميم .. وبموقف الانسان العربي المناضل في مرحلة ما بعد التاميم ..